



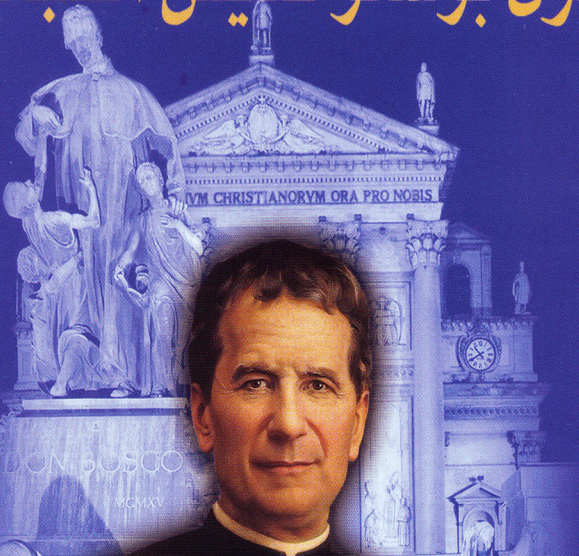
الروحانية السالزيانية

1

القديس دون بوسكو
سالزيان الشرق

تريزيو بوسكو

دون بوسكو قديس الشباب



ترجمة سمعان داود

سلسلة الروحانية السالزيانية (١)

© جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ٢٠١٣

مطبعة ألف باء - الأديب

دمشق

نسخة مترجمة عن الكتاب الإيطالي:

Teresio Bosco, *Don Bosco Il santo dei giovani*.

Collana blu "Messaggeri d'amore" Protagonisti della fede. ELLEDICI, Editrice Velar, Torino, 2011.

ترجمة: سمعان داود

تدقيق: فرحان حداد

مقدمة

للكاردينال جاكومو بينفي (Giacomo Biffi)

ماذا أراد أن يقول لنا أبونا السماوي بإرساله القديس يوحنا بوسكو إلى كنيسته؟ ماذا يعني إعادة عرض ذكراه الطوباوية في وقتنا الحاضر مرة أخرى؟

في الإمعان بمشهد وأعمال مؤسس العائلة السالزيانية الكبيرة، أفهم من هذا أنها دعوة إلى الفرح، الفرح الذي يزهر ولكن من واقع جادٍ ومن حقيقة محزنة. من كل كتابات دون بوسكو تظهر قناعة مفادها أن حياة الإنسان بالنسبة له هي ليست في النهاية مغامرة سعيدة ومؤكدة: بل بالأحرى هي اختيار مخيف (رهيب) بين قدرين متعاكسين. الجنة كهدف للسعادة التي نحن جميعاً مدعوون إليها، وهو ذكرنا بها باستمرار، لكن أبداً لم يخف خطر الهلاك الحقيقي. وهنا يجد دون بوسكو دعائم دعوته الكهنوتية مدركاً أن هذه الدعوة هي عطية (هبة)، لكي لا يتوه أحدٌ من الإخوة: الرغبة القوية في خلاص النفوس كانت المحرك السري لكل أعمال دون بوسكو، وهي أيضاً الوحي العميق الذي لا ينضب لكل نشاطه المدهش هذا.

الصغير يوحنا

إنه فتى. عمره تسع سنوات مع بقرتين. كل يوم وبعد الغداء يمسك بعصاه ويقود الحيوانات نحو الوادي. في داخل الصرة (الزودة) يوجد قطعة خبز طرية معمولة من دقيق الحنطة: إنها للعصرونية. هناك ينتظره فتى راعي، وبحسب ماركيزيو، كان الراعي من عمره ولديه هو أيضاً نفس عدد الأبقار. مع فرق واحد بينهما: الثاني لديه من أجل العصرونية صرة تحوي قطعة خبز رمادية وثقيلة، مصنوعة من دقيق الذرة والشعير (جويدار). في أحد الأيام قدّم الفتى الأول لرفيقه الثاني قطعة خبزه البيضاء الطرية:

- خذها، إنها لك.

- وأنت؟

- أريد خبزتك الرمادية.

ذاك الفتى اسمه يوحنا بوسكو. مات أبوه عندما كان عمره سنتين. والأم التي تصنع بالفرن خبز دقيق القمح وعلمته أيضاً الكرم، اسمها مارغريتا.

حلم بعمر تسع سنوات

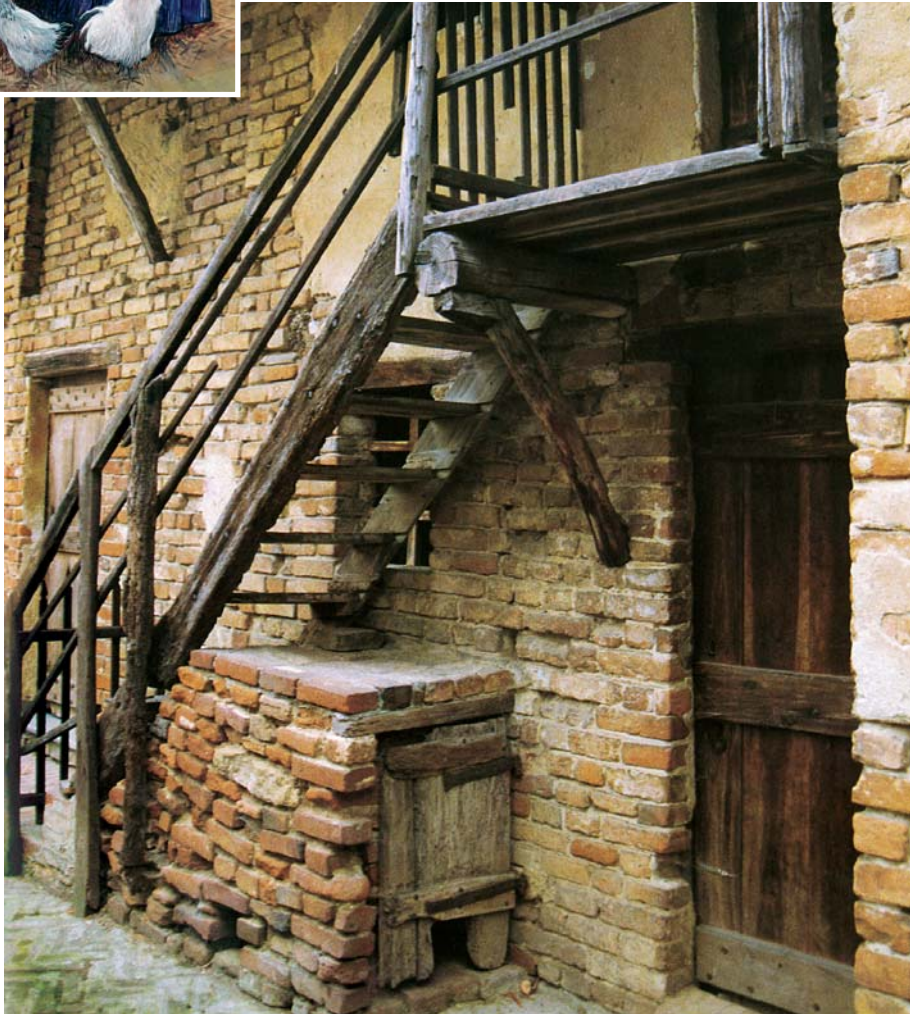
في إحدى الليالي، يمكن أن تكون ذات الليلة التي بادل فيها الخبز الأبيض بالخبز الأسود. غطّ يوحنا بحلم عميق. سيقصّه هو بعد مرور عدة سنوات:

" في عمر تسع سنوات حلمت حلماً بقي مطبوعاً ومحفوراً في داخل عقلي طيلة فترة حياتي. بدا لي أثناء النوم أنني كنت قريباً من البيت، وكنت في باحة كبيرة جداً، اجتمع فيها الكثير





من الفتيان الذين كانوا يلعبون. بعضهم يضحك وبعضهم ليسوا
بقلائل يجدفون. عند سماعي لتلك التجديفات، انطلقت مباشرةً
بينهم أضرِبهم وأقول كلمات لتجعلهم يسكتون. في تلك اللحظة
ظهر رجلٌ وقورٌ، لابساً ثياباً بهية. كان وجهه لامعاً لدرجة أنني
لم أستطع أن أحدق به. ناداني باسمي وقال لي:
- ليس باللطم لكن بالوداعة والمحبة يتوجب عليك الحصول
على أصدقاؤك هؤلاء. هيا، وحالاً، ابدء بالتحدث معهم عن
بشاعة الخطيئة وعن غنى الفضيلة.



أجبت وأنا مشوش ومرعوب، إنني فتى فقير وجاهل.
في تلك اللحظة توقف الفتيان عن المشاغبة والصراخ
واجتمعوا كلهم حول ذاك الذي كان يتكلم. تقريباً لا أعرف
ماذا أقول:

- سألته، من أنت - ماذا تطلب مني؟ أشياء مستحيلة؟
- أنا ابن تلك التي تعلمك أمك أن تلقي عليها السلام ثلاث
مرات في اليوم. اسأل أمي عن اسمي.
في تلك اللحظة رأيت بجانبه امرأة بهية الطلعة، لابسة رداءً يلمع
كالشمس، وعندما رأتهني مضطرباً هكذا أشارت لي بالاقتراب
وأخذت بيدي بكل حنان:

- قالت لي انظر. عندما نظرت أيقنت أن أولئك الفتيان قد
هربوا جميعاً، ورأيت بدلاً عنهم جمعاً من الماعز والكلاب
والقطط والدببة والكثير من الحيوانات الأخرى.





- خذ، هذا هو حَقْلَكَ حيث يجب أن تعمل. كن متواضعاً وقويماً
وصلباً وكل ما ستراه يحدث في هذه اللحظة لهذه الحيوانات،
ستفعله أنت أيضاً لأولادي.

نظرت حينها فرأيت بدل الحيوانات المتوحشة حملاناً وديعة
ظهرت، وأخذت تقفز وتركض وتثغو، بدا وكأنها تحتفل حول
ذاك الرجل وتلك المرأة.

في تلك اللحظة، وفي الحلم انفجرت بالبكاء، وتوسلت تلك المرأة
أن تحدثني بوضوح أكثر، لأنني لم أفهم ما كانت تعنيه. فوضعت
يدها على رأسي وقالت لي:
- ستفهم كل شيء في أوانه.

عندما قالت هذه الكلمات حدثت ضجة جعلتني أستيقظ وتلاشى كل
شيء. بقيت مذهولاً حتى أنني أحسست بألم في يدي من جراء
اللكمات التي لكمتها، ووجهي يؤلني من جراء الصفعات التي
تلقيتها من أولئك الأوباش.

” الأحلام هي أحلام ”

أشعة الشمس الأولى تضرب على زجاج النافذة، ومن الطابق
السفلي ترتفع أصوات العائلة التي استيقظت باكراً.

الصغير يوحناً وثب من السرير وصلى صلاةً سريعة، نزل
راكضاً نحو المطبخ حيث هناك أمه وجدته وأخواه جوزيبيّه و
أنطونيو. الصغير يوحناً لم يقاوم طويلاً وبدأ يخبر بالإشارة والكلام
الحلم الذي حلمه. الأخوان ضحكوا عليه وسخروا منه قائلين:
- ستصبح راعي أغنام ! - قال مستهزئاً أخوه جوزيبيّه.



- قال وبكل شرٍّ أخوه أنطونيو الذي كان الأخ الأكبر - أو ستصبح زعيم عصابة؟
أمّه مارغريتا، على العكس، كانت جادة. نظرت إلى طفلها الذكي والكريم وقالت:

- من يعلم، ربما يصبح كاهناً.
لكن الجدّة ضربت بعصاها على الأرض وبلا صبر تذرّمت قائلة:
- الأحلام هي أحلام، ولا يجب أن نؤمن بها. الآن هيا لنفطر.

البهلواني الصغير

على الرغم من وجهة نظر الجدّة، كان الصغير يوحناً في بعض الأحيان يفكر في الحلم: في أولئك الفتيان الذين كانوا يجدفون، وفي الدببة التي تحولت إلى حملان، وفي كلمات أمّه: " من يعلم... كاهن "

الصغير يوحناً يعرف الكثير من الفتيان الذين يعيشون في البيوت القريبة وفي الحظائر المنتشرة في الريف. الكثير منهم جيّدون ولكن هناك أيضاً المتجبرين والجهلة والمجدفين. لماذا؟ ألا يمكن أن أبدأ الآن وأجعل أولئك الأوباش أصدقاء؟

في أحد الأيام عاد إلى المنزل ووجهه ينزف دماً. كان يلعب لعبة "ليبّا" (lippa) (لعبة ببسبول بشكها البدائي)، (بالعامية هي لعبة البرية)؛ قطعة الخشب التي تُضرب بالعصا اصطدمت بوجهه بطريقةٍ عنيفة. كانت الأمّ مارغريتا قلقة بينما كانت تداوي جرحه:

- في يوم من الأيام ستأتيني بعين مقلوعة. لماذا تلعب مع أولئك الفتية؟ أنت تعرف أنهم ليسوا مهذبين بما فيه الكفاية.
- إذا كان هذا يرضيك، فلن أذهب لألعب معهم مرةً أخرى.
لكن انظري! عندما أكون معهم يصبحون أكثر تهديباً.
تتنفس أمّه الصعداء وتتركه يذهب.



عرضٌ على المِرج

أبواق البهلوانيين تعزف على الهضبة القريبة. إنَّه عيد شفيح المنطقة. الصغير يوحناً ذهب إلى هناك وقرر أن "يدرس" خدع السحرة وأسرار التوازن. دفع ٢٠٠ قرش ليجلس في الصف الأول داخل الكوخ الكبير الذي فيه يجري العرض.

عاد إلى البيت وحاول هو أيضاً المشي على الحبل (زوج من بكرة الحبال اختفى).

لِتُخْرِجَ دجاجةً حية من الطنجرة التي تغلي على النار... أنت بحاجة إلى الكثير من الوقت والتمارين والمثابرة والوقوع على الرأس. في إحدى أمسيات الصيف الصغير يوحناً يعلن لأصدقائه عن أول عرض له.

فوق سَجادة معمولة من أكياس وضعها فوق العشب، قام بعمل عجائب التوازن، مستخدماً أواني وطناجر المطبخ حيث وضعهم على رأس أنفه. وطلب من أحد المتفرجين أن يجعل فمه مفتوحاً ليخرج



منه حوالي عشر كراتٍ خشبيةٍ بألوانٍ متعددة. ومن بعدها يبدأ العمل بـ" العصا السحرية "...

يعود أخوه أنطونيو من الحقل وتحديدًا بمنتصف العرض. يضع الفأس الذي كان يحمله على كتفيه أرضاً، ويترك نفسه للهيجان:
- انظروا للمهرج! للكسول! أنا أتعب وتتكسر عظامي في الحقل، وهو يعمل مهرجاً وساحراً.

أوقف الصغير يوحنا العرض، لكن لينقله مسافة ٢٠٠ متر ليبدأ عرضه من جديد تحت الأشجار، حيث يتركه أنطونيو بسلام هناك. نعم الصغير يوحنا مهرج لكن من نوع "خاص".
قبل عرض الفقرة الأخيرة يسحب من جيبه المسبحة، ويركع داعياً الجميع ليصلوا، أو يعيد الوعظة التي سمعها في الكنيسة صباح يوم الأحد. فهذه هي الهدية التي يطلبها من جمهوره الصغير وهذه هي التذكرة التي يدفعها الكبير والصغير.

بعد ذلك يربط حبلًا بين شجرتين ويصعد عليه ويبدأ بالمشي فوقه

وذراعه مفتوحتان. بين لحظة السكوت المفاجئ والتهافتات الجنونية التي يطلقها أصدقائه، يبدو أن هناك ملاك يمسك به وهو على الحبل ليمنع حدوث أي انزلاق عنيف. لكن هذا ليس بصحيح: لقد كان هناك أكثر من ملاكٍ قد أرسلهم السيد المسيح، لأن ذاك البهلواني الصغير عليه أن ينمو من دون أذى، وعليه أن يكون قوي البنيان لأنه في أحد الأيام سيتوجب عليه الوعظ من منابر أخرى ليست كتلك الموجودة على حبل مشدود بين شجرة الإجااص والكرز.





مهاجر بعمر ١١ سنة

التحق يوحنا بالمدرسة الابتدائية وهو في عمر ٩ سنوات، في شتاء عام ١٨٢٤ - ١٨٢٥ (كان استاذہ الأب لاکوا). بدأت المدرسة في ٣ تشرين الثاني وانتهت في ٢٥ آذار. التحق بالصف الثاني الابتدائي في شتاء عام ١٨٢٥ - ١٨٢٦. أرادت أمه أن يستمر بالدراسة ويكمل في الشتاء القادم الصف الثالث الابتدائي، لكن أخاه أنطونيو عارض بشكل عنيف :

- ما الفائدة المرجوة من إضاعة المزيد من الوقت؟ يكفي أن تعرف القراءة وكيف توقع اسمك، هيا خذ المعول وافعل كما فعلت أنا.

في أحد الأيام وبسبب كتاب تركه يوحنا على طاولة الطعام بجانب الصحن حصل شجارٌ عنيفٌ، تلقى يوحنا (أنذاك كان عمره ١١ سنة) فيه صفعاتٍ مؤلمةً من أخيه أنطونيو (كان عمره ١٧ سنة).

من المستحيل الاستمرار هكذا. وفي أحد صباحات شهر شباط قالت الأم مارغريتا ليوحنا، الكلمات الأكثر حزناً التي يمكن أن تقولها أم في حياتها:

- من الأفضل أن ترحل من البيت، لأنه في يومٍ ما يمكن أن يؤذيك أخوك أنطونيو.



رحل يوحنا باحثاً عن عمل، وهو في عمر الأحد عشر ونصف ربيعاً، رحل حاملاً معه صرّة فيها قميصان وكتابان ورغيف خبز كبير. بقيت أمّه مارغريتا أمام الباب تنظر إليه ملوحةً بيدها حتى ابتلع الضباب حبيبها المهاجر الصغير.

صبي إسطنبول

وصل إلى مزرعة موليا. وبقي صامتاً للحظة حتى يُجمّع شجاعته، ومن بعدها دخل. كانت عائلة موليا مجتمعة حول جرن النبيذ تجهّز سلال الكروم.

– عن ماذا تبحث يا فتى؟ – يسأله رجل شاب يبدو من هيئته أنه المالك.

– أبحث عن لويجي موليا.

– أنا هو.

– أرسلتني أمي لكي أقوم بأعمال أجير في الإسطنبول.





- لماذا ترسلك أمك خارج البيت وأنت صغير هكذا؟ ومن هي أمك؟
- مارغريتا بوسكو. إن أخي أنطونيو يسيء معاملتي لهذا
قالت لي أمي أن أبحث لي عن مكان أعمل فيه كأجير.
- يا بني المسكين، نحن لا نأخذ أجراً للعمل هنا قبل نهاية
شهر آذار، لذا من الأفضل أن تعود إلى البيت.
- التمس الصغير يوحنا قائلاً: كلا، أرجوك، اقبلني ومن دون
أجر. وأخذ بالبكاء.

ولأن قلب السيدة دوروتيا زوجة المالك رقيق، قالت:
- إقبله يا لويجي، دعنا نجربه لعدة أيام.

بذل يوحنا جهداً كبيراً لكي لا يسرح من العمل: وبدأ يعمل من
الصباح حتى وقت متأخر من المساء، وعندما يذهب الجميع إلى النوم
يشعل بقايا شمعةٍ ويبدأ بقراءة الكتب التي أعاره إياها أستاذه الأب
لاكوا. وبينما كان يقود الثيران لتقوم بالحراثة كان قادراً على مسك النير
بيد والكتاب باليد الأخرى. رب العمل لم يتذمر لكن طأطأ برأسه وقال:
- لماذا تقرأ كثيراً؟

- لأنني أريد أن أصبح كاهناً.

الدراسة كانت تصبح أصعب من جراء العمل بالأرض، وهكذا
مرت حوالي ثلاث سنوات ويوحنا على هذه الحال.

في شهر تشرين الثاني من عام ١٨٢٩ جاء خاله ميكيله وهو أخو أمه:
- حسناً يا يوحنا، هل أنت سعيد هنا؟

- كلا، هم يعاملوني بطيبة لكني أريد أن أدرس، لقد أنهيت
أربعة عشر عاماً من عمري.

لذلك أعاده خاله ميكيله إلى البيت، لكن أخاه أنطونيو غضب
جداً من هذا القرار، لكن وبعد نقاش ساخن قبل بدراسة يوحنا
ولكن بشرط أن لا يُطلب منه أن يتكفل بشيء.



لقاء مصيري

في الشهر نفسه، بتشرين الثاني من عام ١٨٢٩، كانت هناك وعظة عظيمة في قرية بوتّيليرا (Buttigliera) القريبة. ومن بين الجمهور المنحدر من تلك التلة كان هناك يوحنا وكاهن رعية موربالدو الأب كالوسو (كاهنٌ مسنٌ عمره ٧٠ عاماً)، الذي عندما رأى الصبي يوحنا ماشياً وحده سأله قائلاً:

– من أين أنت يا بني؟

– أنا من بيكي (Becchi)، أنا ابن مارغريتا بوسكو، لقد كنتُ في الوعظة.

– من يعلم ماذا فهمت منها، فقد قيل فيها الكثير من الكلمات باللغة اللاتينية!

لكن يوحنا لم يستسلم أبداً، أعاد على الكاهن كل الوعظة وعن ظهر قلب، كما لو كان يقرؤها من كتاب. بعد فترة وجيزة من الزمن دُعِيَ كل من يوحنا وأمه مارغريتا إلى مكتب الكاهن:

– يا سيده مارغريتا إن ذاكرة ابنك هي أعجوبة، هذا الفتى يجب أن يدرس لكي لا تذهب هذه الهبة التي أعطاه إياها الله.

بعد أن أخذ موافقة الأم، نظر الأب إلى يوحنا وقال:

– هذا هو كتاب قواعد اللغة اللاتينية، سندرسه في فترة الميلاد، أمّا الآن يجب أن تراجع اللغة الإيطالية. خذ هذا (أعطى يوحنا كتاباً صغيراً) كتاب تأمل، اقرأ منه صفحة كل يوم وتأمّلها، وإذا لم تفهمها اسألني. انظر يا بني، لقد وهبك الله الذكاء فيجب بدايةً أن

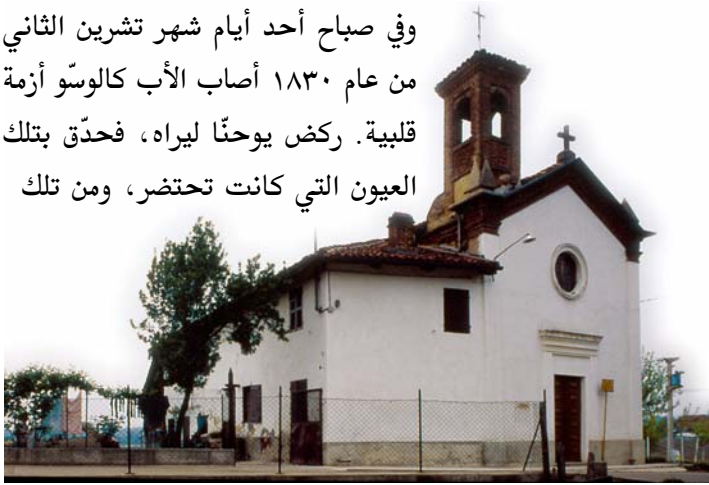




تستخدم ذكاءك لتتعرف عليه. وإذا تعلمت كل اللغة اللاتينية ولم تتعلم أن تحب الله فسنخفق أنا وأنت معاً.

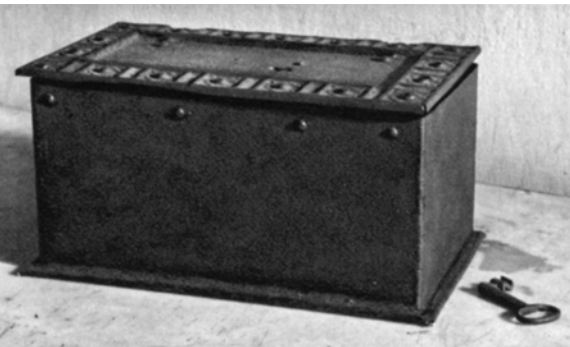
منذ ذاك اليوم تعلم يوحنا بوسكو أن يقوم يومياً بتأمل قصير. في شهر أيلول من عام ١٨٣٠ اتفق الأب كالوسو مع الأم مارغريتا أن يرسل يوحنا إلى البيت في بيكي مرة واحدة في الأسبوع من أجل أن يبدل ثيابه الداخلية ويغسلها، لقد كانت الأشهر الأجمل في حياته. حيث كان يعيش بجانب ذاك الكاهن العظيم.

وفي صباح أحد أيام شهر تشرين الثاني من عام ١٨٣٠ أصاب الأب كالوسو أزمة قلبية. ركض يوحنا ليراه، فحدق بتلك العيون التي كانت تحتضر، ومن تلك



اليدين المرتجفتين أخذ مفتاحاً من دون أن يفهم شيئاً. هكذا انتهى كل شيء. فلم يبق له سوى البكاء بشدة على جثة أبيه الكاهن. لقد أعطاه مفتاح صندوق يحوي بداخله ستة آلاف فرنك، كان يوحنا مرعوباً من وجود مناقشات وحوارات تدور من أجل المال

وهم مجتمعين حول جثة كاهنه الملاك، لذلك سلم الورثة ذاك المفتاح وكل شيء انتهى هناك.



الآن عاد يوحنا وحيداً من جديد، بلا معلّم وبلا مال ومستقبله
لا يحمل معالم واضحة. نعم إنه شيء يدعو لليأس.

يمشي ويمشي

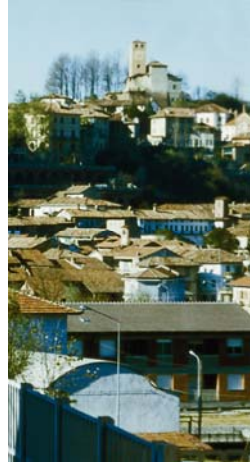
يجب الاستمرار مهما كلف الأمر. الأمّ مارغريتا تحملت ذلك
تقسيم البيت والأراضي مع أنطونيو لتضع حداً لأي معارضة من
قبله. وهكذا انتقلت مع ولديها جوزيبه ويوحنا إلى بيتٍ ريفي في
سوسامبرينو (Sussambrino). أخذت البيت كمزارعة بينها وبين
صاحب المزرعة. قرية سوسامبرينو (Sussambrino) تبعد ٢ كم
عن كاستيل نووفو (Castelnuovo)، لذا أخذ يوحنا يمشي تلك
المسافة مرتين في اليوم لكي يذهب إلى مدرسة البلدية. أتى المطر
والثلج والريح سريعاً وهي أمور طبيعية تصاحب شتاء مقاطعة
بيمونته. أحياناً لم تستطع قدماه السير في الطين والثلج.

في إحدى الليالي وبينما كان يرتاح من تعب المسير، عاوده
الحلم الأول مرة ثانية فوجد نفسه أمام بابٍ فُتِحَ على مصراعيه
أمام الوادي حيث هناك رأى مجدداً القطيع والسيدة المملوءة نوراً
والتي أرادت أن تُودِعَهُ القطيع. و" أعادت قول هذه الكلمات
— كن متواضعاً، وقوياً، وصلباً — ستفهم كل شيء بأوانه "

عندما أصبح " دون بوسكو "

في عام ١٨٣٥ أصبح يوحنا بوسكو شاباً ناضجاً. ففي كاستل
نووفو (Castelnuovo) ومن بعد في كييري درس وعمل بجهدٍ،
وفيها عمل المئات من الصداقات والأصدقاء.

هو الآن بعمر ٢٠ عاماً وأخذ القرار الأهم في حياته: دخل إلى
إكليريكية كييري (Chieri) وبعد ست سنوات من الدراسة المكثفة.



وفي ٥ حزيران من عام ١٨٤١، وضع رئيس أساقفة تورينو يديه على رأس يوحنا بوسكو واستدعى الروح القدس لتقدسه وتحلّ عليه للأبد. وبعدها بدقائق قام يوحنا بوسكو بخدمة أول قداس إلهي. لقد أصبح " دون بوسكو ".

في ذاك المساء، قالت له الأم مارغريتا: " الآن أنت كاهن، أنت الآن أقرب إلى يسوع المسيح، أنا لا أقرأ كتبك، لكن تذكر أن البدء بخدمة القداس الإلهي يعني البدء بالتألم. من الآن وصاعداً فكّر فقط بخلاص النفوس، ولا تقلق أبداً عليّ ".

ماذا عليه الآن أن يفعل دون بوسكو؟ لقد قُدمت له ثلاثة وظائف وهي: إمّا كاهن في مصلى موريالديو (Morialdo)، أو مساعد كاهن رعية كاستيل نووفو (Castelnuovo)، أو مدرّس لدى عائلة نبيلة في جنوى. لكن كان لديه مشروعه المختلف: إنه هو والأولاد. لذلك بقي في تورينو ليُكمّل دراسته وحتى يفكر بالأمر.

أستاذه كاهن صغير في السن والذي أصبح من بعد صديقه ومستشاره طيلة فترة حياته: إنه الأب جوزيبي كافاسو، لقد لُقّب "بكاهن المشنقة" لأنه كان يذهب إلى السجون ليرشد وينصح ويتحدث عن الإنجيل أمام المساجين، وإذا كان أحدهم قد حُكِم عليه بالموت، كان يصعد معه في العربة ويجلس بجانبه ويواسيه حتى وصوله إلى المشنقة.

بدأ دون بوسكو يرافق معلمه في السجون، وفي تلك الأماكن الموجودة تحت الأرض وبين الجدران السود الرطبة التقى بوجوه حزينة مهتدة. لقد شعر بالاشمئزاز وفي بعض الأحيان بالغيثيان، لكن الذي كان يجعله يشعر بالألم العظيم هو رؤية سجناء صغار، بعيون مضطربة وضحكة ساخرة. في أحد الأيام رأى خلف القضبان مجموعة من الشبان الصغار يمكن القول أنهم أولاد. هذا المشهد المؤلم جعل دون بوسكو ينفجر بالبكاء.



- لماذا يبكي ذاك الكاهن؟ - يسأل أحد هؤلاء الأولاد.
- لأنه يحبنا - أجاب آخر - حتى أمي كانت ستبكي إذا ما
رأنتني محبوساً هنا...

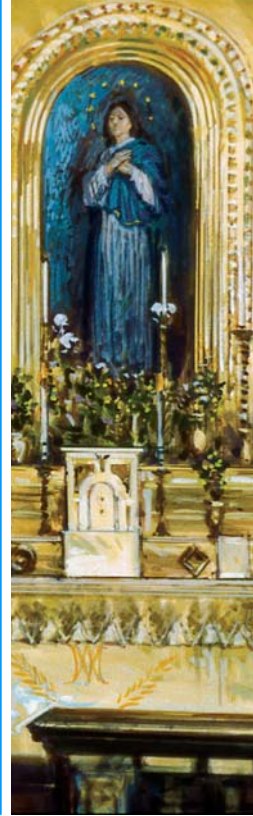
في ذاك اليوم خرج دون بوسكو من السجن وأخذ قراراً لا رجعة
فيه: "الكثير منهم موجودين بداخل السجن، لأنه لا يوجد من
يهتم بهم. يجب مساعدتهم ومساندتهم وتعليمهم، يجب عدم
السماح لأولادٍ مثل هؤلاء وبأي ثمن من أن ينتهوا إلى السجن. أريد
أن أكون مُخَلَّصُ أولئك الأولاد المساكين."

"اسمي بارتولوميو غاريلي"

الثامن من كانون الأول من عام ١٨٤١ هو عيد الحبل بلا
دنس. دون بوسكو يحضّر نفسه للاحتفال بالقداس الإلهي بكنيسة
القديس فرنسيس الأسيزي. تقع حادثة لفتى موجود في السكرستيا،
حيث ظن مسؤول السكرستيا أن ذاك الفتى لص، فقام بطرده بعد
أن انهال عليه يضربه بالعصا، لكن دون بوسكو يتدخل:

- ماذا تعمل؟ هيا إنزل تلك العصا.
- لماذا يا أبتى المحترم.
- لأنه صديقي.
- منذ متى وهو صديقك... - أخذ يتمتم مسؤول السكرستيا،
وهمّ ينادي الفتى.

عاد الفتى المقهور ذو الشعر المحلوق والسترة المتسخة بالكلس.
إنه مهاجر حديث، هاجر إلى تورينو بعدما قال له أبواه: "في
تورينو، إذهب إلى الكنيسة لتشارك بالقداس الإلهي". ولكن ذاك
الفتى خجل الجلوس على المقاعد بين الناس الذين يرتدون اللباس
الحسن. دون بوسكو تحدّث معه وطلب منه أن ينتظر إلى ما بعد
القداس، فهو يريد أن يقول له شيئاً مهماً.





انتهى القداس فأخذه إلى مكان الجوقة وبوجهه البشوش أخذ

يحدثه :

– يا صديقي الطيب، ما اسمك؟
– بارتولوميو غاريلي، أنا من محافظة آستي.

– هل أبوك حيٌّ؟

– كلا، إنه ميت.

– وأمك؟

– ماتت هي أيضاً...

– كم عمرك؟

– ستة عشر.

– هل تعرف القراءة والكتابة؟

– كلا.

– هل تعرف الغناء؟

– كلا.

– هل تعرف التصفير.

– آه، نعم! – الفتى يضحك. ودون بوسكو يستمر:

– هل تقدمت إلى المناولة الاحتفالية الأولى؟

– ليس بعد.

– هل قمت بالاعتراف من قبل؟

– نعم، لكن عندما كنت صغيراً.

– هل تذهب للتعليم المسيحي؟

– كلا، فأنا لا أجرؤ لأن الأولاد أصغر مني سنّاً وهم يسخرون

منّي...

– إذا قمت أنا بتعليمك وعلى حدة، هل ستأتي؟

– نعم، وبكل سرور.

– حتى ولو في هذا المكان؟



أرغب أن
تأتي الأحد
القادم أيضاً
يا بارتولوميو

ساتي بكل
سرور

لكن لا تأتي
لوحبك أحضر
أيضاً أصدقائك

- بشرط ألا يضر بوني بالعصا.
- كن مطمئناً، الآن أنت صديقي، ولن يمسك أحد بسوء بعد اليوم. متى تريد أن نبدأ؟
- عندما حضرتك يريد.
- ولو حتى الآن وحالاً؟
- نعم، بكل سرور.

ركع دون بوسكو وبدأ يصلي السلام الملائكي. في تلك اللحظة بدأ مركز السالزيان (Oratorio)، وبدأت الرسالة العظيمة لدون بوسكو بين الشباب.

عند الظهيرة رأى دون بوسكو أربعة فتيان نائمين واحداً بجانب الآخر عندما كان يعظ، هذا الكلام من الصعب فهمه بالنسبة إليهم. أيقظهم "تعالوا معي" وعلى رؤوس الأقدام اصطحبهم إلى السكرستيا، فهؤلاء فتيان بناؤون أتوا من مقاطعة لومبارديا الدنيا ليعملوا ويستقروا في تورينو. من بينهم كان كارلو بوتزيتي.

بعد أربعة أيام؛ كان يوم الأحد، عاد بورتولوميو ورافق بعض الفتيان. وصل أيضاً البنائون الصغار اللومبارديون (نسبة لمقاطعة لومبارديا). أتوا "باحثين عن دون بوسكو".

دون بوسكو أخذ يساعدهم في الصلاة، وخدم قداساً إلهياً من أجلهم وقام بوعظة صغيرة، فيها حوار، ومليئة بالحيوية وبالأفعال الجياشة والأخبار الفضولية.

في الأحد الذي تلاه وصل آخرون جدد: سيل من الفتيان يلبسون ثياباً رثة، لكن عيونهم مألَى بالحياة. وصلوا يبحثون عن دون بوسكو، يبحثون عن كلامه وعن حبه.

جيش الفتيان أخذ ينمو باستمرار، لكن الشتاء أخذ يقترب ويجب وضعهم في مكان يحميهم من الأمطار الغزيرة والثلوج الهائلة. فأول مكان للاجتماع كان المعهد الكهنوتي حيث كان يقيم دون بوسكو.





في الباحة الصغيرة كانت الألعاب والتسالي، أمّا في الكنيسة المجاورة فكان القداس والصلوات والتعليم المسيحي. الأب كافاسو كان موافقاً ومساعداً أيضاً، لكن الكهنة الآخرين بدؤوا يحتاجون: كل هذا الصراخ والضجيج هو شيء لا يحتمل.

الانتقال من المشفى إلى كنيسة المقبرة

في صيف عام ١٨٤٤ دون بوسكو ينهي دراسته في المعهد الكهنوتي وعين مديراً روحياً للمشفى الصغير، الذي هو عبارة عن جمعية لرعاية المرضى الأطفال الإناث، وقد تم افتتاحه في ريف تورينو من قبل الماركييزة بارولو.

جمع من الأولاد يلحق بدون بوسكو. إنهم حوالي مئتين أو ثلاثمئة من الأولاد المشردين (الأوباش)، يملؤون الحقول المجاورة ويحاولون أن يتجمعوا على الدرج، وفي غرفتين منحتهم إياهما الماركييزة لتكون مركزاً ساليانياً (Oratorio) حيث قام دون بوسكو بتحويلهما إلى كنيسة صغيرة.

الآن عنده مقر، ففكر دون بوسكو بتعليم الأولاد الأكثر ذكاء. فأخذوا يأتون إليه في المساء على شكل مجموعات، ووجوههم مسودة من بقايا الدخان أو

مقبرة القديس
بطرس المقيّد



مبيضة من بقايا الكلس، حاملين السترة على الكتف ومسرورين لأنهم يحصلون على بعض الدروس. لقد واجهوا الكثير من الصعوبات ليتمموا واجباتهم، وهكذا أُلْفَ دون بوسكو من أجلهم واحد من أوائل كتيباته وسَمَّاهُ "النظام المترى العشري" (il sistema metrico decimale).

الماركيزة (هي امرأة قديسة) تحاول إقناع دون بوسكو أن يتوقف ويترك الأولاد ليهتم فقط بمؤسستها. لكنها لم تستطع إقناعه، لذا طلبت منه أن يأخذ أولاده الفتيان ويجد لهم مكاناً آخر.

دون بوسكو يبدأ الهجرة إلى منطقة القديس بطرس المقيد، هناك توجد كنيسة صغيرة في مقبرة مهجورة تحوي قناطر وباحة في الوسط. كاهن الرعية المسؤول وهو الأب تيزيو كان صديق دون بوسكو. لكن عندما شاهدت المرأة التي تهتم بشؤون الكنيسة وصول ذاك الجمع الغفير من الأولاد الذي ما انفك يَضُجُ في الباحة، أخذتها الدهشة أولاً، لكن بعد ذلك جُنَّ جنونها، وأخذت تصرخ وببيدها عصا، وبدأت تشتم حتى دون بوسكو، مما دفع دون بوسكو إلى استدعاء أولاده وطلب منهم الرحيل.

بقيت المرأة هكذا خارجة عن السيطرة وصرخت بوجه الأولاد المرشدين قائلة:

— أخيراً لن أراكم من بعد اليوم، يا من تلبسون ثياباً مهترئة!
للأسف، إنها تقول الحقيقة: لقد ماتت هذه المرأة في الأسبوع نفسه.

نهر البو
في تورينو





في ١٢ تموز من عام ١٨٤٥ ، وبموافقة البلدية قام دون بوسكو ب نصب خيامات بجانب طواحين المدينة على ضفاف نهر البو بحي دورا. لكن بعد فترة من الإقامة هناك قام الجيران بعمل شكوى ضدهم، والسبب هو أن الأولاد يضحون ويصرخون ويزعجون، لذا توجب على دون بوسكو أن ينقل هذا الخبر الحزين إلى أصدقائه الصغار:

– يا أعزائي يجب علينا أن نرحل من هنا.

لكن وخلال تلك الإقامة القليلة عند الطواحين التقى دون بوسكو بفتى شاحب، كان ينظر إلى دون بوسكو بصمت. عمره ثماني سنوات واسمه ميشيل روا، وعندما قام دون بوسكو بتوزيع ميداليات على أولاده المشردين لم يشأ هذا الفتى الشاحب أن يتقدم ويتدافع مع الآخرين، لذا بقي من دون واحدة، عندها اقترب منه دون بوسكو ومد له يده اليسرى وقام بحركة سحرية فقطعها إلى نصفين متساويين وقال له مبتسماً:

– خذ أيها الصغير ميشيل.

نظر الفتى ولم يفهم، آخذ ماذا؟ ذاك الأب لا يعطيه شيئاً، عندها قال دون بوسكو:

– نحن الاثنين سنقتسم كل شيء مناصفة.

إنّ ذاك الفتى سيصبح أول خليفة يرأس الجمعية السالزيانية بعد دون بوسكو.



طنبور وحراس كثيرون

لعدة أشهر و دون بوسكو لا يجد سقفاً يأوي فيه أولاده. لكن لم يستسلم، بقي يكلمهم ويعلمهم في الهواء الطلق. ويجمعهم في الساحات أو في مروج ريف مدينة تورينو. وكان الناس يراقبون، فمنهم من يضحك ومنهم من يندهش:

– لكن إلى أين يذهب ذاك الكاهن؟

– إنه دون بوسكو مع أولاده!

– مسكين، يقال أنه قد جنّ، سينتهي في مصح للأمرض العقلية بسبب ذاك الصخب والضجيج.

خلال فصل الشتاء (من شهر تشرين الثاني من عام ١٨٤٥ – حتى شهر آذار من عام ١٨٤٦)، استأجر ثلاث غرف في بيت كاهن وهو الأب موريتا.

في الربيع استطاع أن يستأجر مرجاً أخضر في ريف المدينة. في وسطه شيء يشبه الكوخ، كانوا يضعون فيه أدوات اللعب خاصتهم، وحوله يركضون ويتخلون عن نزواتهم، كانوا ٣٠٠ فتى. وفي أحد زوايا المرج يجلس دون بوسكو على مقعدٍ يُعرّف أولاده.

في حوالي الساعة العاشرة يعزف الطنبور موسيقى عسكرية، فيصطف الأولاد، ومن بعده تعزف الترومبيت ويبدأ المسير نحو: دير العذراء المعزية أو إلى جبل الرهبان الكبوشيين حيث سيقم هناك دون بوسكو قداسه الإلهي ويتقرب الأولاد من سر المناولة.

إن هذه الأمور كانت تحدث في فترة الثورات، لذا تصوروا وجود ٣٠٠ شاب يصطفون على صوت البوق والطنبور، كل هذا أخذ يشغل بال السلطات في تورينو.

محافظ المدينة الماركيز ميكيله دي كافور (هو أبو كاميلو)، طلب منه أن يحدّ من عدد الفتیان وأن يتجنب إدخالهم المدينة وهم



مصطفون بهذه الطريقة ، وأن يقوم بطرد الأكثرهم خطراً. رفض دون بوسكو وأصبح اللقاء عاصفاً وبدأ كافور يصرخ قائلاً:

– ماذا يهمك من أمر هؤلاء السوقيين؟ هيا اتركهم في بيوتهم! لا تتحمل هذه المسؤولية وإلا ستحدث مصائب للجميع.

ينسحب دون بوسكو من اللقاء من دون أن يستسلم، ومنذ ذاك اليوم وعلى حدود المرج حيث الأولاد يلعبون كانت هناك دورية من الشرطة تقوم بمراقبتهم.

في أحد الأيام وتحديداً في نهاية شهر آذار ظهر أصحاب المرج. أتوا ليهتموا ويراقبوا أرض المرج التي دُعِست ومن دون رحمة من قبل ٦٠٠ قدم وحذاء كبير. نادوا دون بوسكو قائلين:

– ستجعل من هذا المرج صحراء!

– على هذا المنوال سيصبح مرجنا طريقاً سويّاً بالأقدام!

– لا يمكن أن نصبر على هذا الحال أيها الأب العزيز، كلا، لا يمكن الاستمرار على هذا المنوال. نحن نستغني عنك يا دون بوسكو. بالنسبة لدون بوسكو هذا ضرب من الجنون، الآن أين سيذهب؟ بعدما طُرد من أماكن كثيرة.

”في مساء ذلك اليوم – كتب دون بوسكو – أمعنت النظر بجمع الأولاد الذين كانوا يلعبون. لقد كنت وحيداً ومنهك القوى، صحتي تتهاوى. كنت واقفاً على حدة، فأخذت أتمشى وحدي ولم أستطع أن أوقف دموعي: صرخت يا إلهي، قلّ لي ماذا يجب أن أعمل.“
في تلك اللحظة وصل أخيراً، ليس رئيس الملائكة لكن رجل يتلثم:

إنه بانكراتزيو سوافه صانع صودا ومساحيق غسيل.

– أضحیحُ أنك تبحث عن مكان لتجعل منه ورشة؟

– كلا ليس ورشة بل مركزاً سالزبانياً (Oratorio).



– لا أعلم ما الفرق؟ لكن على كل حال المكان موجود. هيا
تعال معي لتراه.

يذهب دون بوسكو خلف ذاك الرجل إلى المكان الذي يبعد
٢٠٠ متر عن المرج. وهو عبارة عن مستودع مسقوف في منطقة
فالدكو الشعبية. يملكه السيد فرانتشيسكو بيناردي من مقاطعة
لومبارديا حيث هاجر منها إلى تورينو. وبجانب المستودع هناك
قطعة أرض استأجرها مع المستودع. عاد دون بوسكو بسرعة إلى
الأولاد ليكون بينهم وصاح قائلاً:

– إفرحوا! لقد وجدنا مركزنا السالزياني (Oratorio)
الجديد، وسيصبح عندنا كنيسة ومدرسة وباحة للركض واللعب.
سنذهب إلى هناك يوم أحد الفصح!
يوم الفصح كان قريباً: إنه في ١٢ نيسان من عام ١٨٤٦.

هل جنّ دون بوسكو؟

الكوخ – السقيفة الذي استأجره دون بوسكو كان بطول ١٥
متراً وعرض ٦ أمتار. يستند على الجهة الشمالية من بيت
بيناردي. لقد بني منذ فترة قليلة وجُعِلَ ليكون ورشة
لصنع القبعات ومستودع لعمال المصبغة (هناك وبجانب
المبنى توجد قناة تصب في نهر دورا الذي يبعد قليلاً).
– قال دون بوسكو، هناك سنبنّي الكنيسة –
ويجب مناداة العمال الآن ليبدؤوا العمل.

مصلّى بيناردي
في وقتنا الحاضر



وصل البنائون وحفروا ودعموا الجدران والسقف ، ومن بعدهم وصل النجارون وجعلوا منصةً من الخشب على أرض الكنيسة المهددة. وجاءت أيضاً مجموعة من فتيان دون بوسكو تعمل في البناء لتقدم يد المساعدة في ساعات فراغهم.

في ليلة السبت المقدس (سبت النور) أصبح المكان جديداً. قام دون بوسكو بتجهيز الأدوات المقدسة والمصابيح والشموع من أجل الكنيسة الصغيرة الجديدة. وأخذ يشعر بثقل الديون. ثقل بدي وكأنه لن يتخلص منه طوال حياته، لكن العناية الإلهية كانت دائماً حاضرة لمساعدته.

في ١٢ نيسان كان اليوم المنشود. ففي صباح أحد عيد الفصح كانت تقرع كل أجراس المدينة احتفالاً بالمناسبة. لكن في كنيسة بيت بيناردي لم تكن هناك أية أجراس، لكن كان هناك ترقبٌ لرؤية دون بوسكو وهو ينادي أولاده ليأتوا إلى مركز سالزيان فالدوكو (Oratorio).

الآن العذراء فتحت له الطريق ليسير عليه، دون بوسكو كان متأكداً من أنه سيصل إلى البعيد. كان يتحدث مع أصدقائه الكهنة عن مشاريع مؤكدة، وهي ليست إلا عبارة عن مشاريع موجودة في ذهنه فقط:

– سأشيد مدارس، وورشات، ومحلات لإصلاح الآلات الميكانيكية أنا أرى كل هذا وكأنه حاضر أمامي.

بداية كانوا يسمعون من باب الفضول، لكن بعد ذلك أخذ البعض يحرّض قائلًا:

– دون بوسكو قد أصيب بعقله، سيجن.

– من الضروري أن يُعالج قبل فوات الآوان.

حتى أن صديقه العزيز وساعده الأيمن في مشروع مركز السالزيان (Oratorio) الأب اللاهوتي بوريل، أخذ يشك به.

ففي إحدى المرات وبينما كان دون بوسكو يتحدث بكل حماس عن مشاريعه المستقبلية، وضع الأب بوريل ذراعيه على كتفي وعنق دون بوسكو، وانفجر بالبكاء، وصرخ قائلًا:

– مسكين يا دون بوسكو ! لقد جننت تماماً.

تمثال العذراء
في مصلى بيناردي



معجزة البنائين الصغار

خلال الأسبوع بدأ بناؤو تورينو يشاهدون مشهداً غير مألوف: كاهنٌ يرمي بلباسه الكهنوتي ويصعد على جسور البناء ويمشي بين أكياس الكلس، وأعمدة القرميد. إنه دون بوسكو يشجعهم على القيام بمهامهم ويصعد إلى الأعلى ليلتقي بأولاده. لقد كانت بمثابة حفل بالنسبة إليهم. إنهم فتيان قدموا من بلدان بعيدة ليبحثوا عن عمل كأجراء لدى البنائين المحترفين. وغالباً ما كانوا يقعون تحت يد معلمي بناء بخلاء وبلا ذمة، فيستغلونهم. دون بوسكو كان الشخص الوحيد الذي يحبهم ويساعدهم.

لكن دون بوسكو لم يكن يهتم فقط بالصعود إلى الأعلى ليلتقي بهم حيث يعملون، بل كان يقف مع رب العمل ليتبادل معه بعض الأحاديث. كان يريد أن يعلم كم يدفع لهم، وكم هي فترة الاستراحة ومتى يمكن أن ينتهي المشروع.

لقد كان من بين الأوائل في إيطاليا الذي قام بعقود عمل نظامية لفتيانه الجدد في المهنة، وحرص على أن يقوم أرباب العمل باحترام العقود.





دون بوسكو بالنهاية هو إنسان، ولكل إنسان طاقة محدودة. في يوم الأحد من شهر تموز من عام ١٨٤٦، وبعد يوم متعب جداً قضاها في الوعظ وممارسة سر الاعتراف واللعب مع ٥٠٠ ولد من مشرديه، وبينما كان عائداً إلى غرفته في المشفى الصغير، أُغمي عليه. حملوه بكل ثقله إلى سريره. يا إلهي لقد أصيب بما يشبه التهاب الرئة الخطير، وأخذ يبصق دماً، وفي الليل أخذت حرارته بالارتفاع بشكل مخيف. انتشر الخبر وبسرعة البرق على منصات البنائين الصغار وفي ورشات الفتيان الميكانيكيين: "دون بوسكو يحتضر".

في تلك الليلة، وفي الغرفة التي يحتضر فيها دون بوسكو، وصلت مجموعات من الفتيان الفقراء المرعوبين. أتوا بثياب العمل المتسخة، وبوجوههم الملطخة بالكلس الأبيض، ولم يشاؤوا تناول عشايمهم لكي يكونوا عنده. أخذوا يبكون ويصلون قائلين:

— أيها الإله، لا تجعله يموت !





بقي دون بوسكو ولدة ثمانية أيام بين الموت والحياة، وبقي الفتيان طوال فترة الأيام الثمانية لا يشربون نقطة ماء ويعملون تحت أشعة الشمس الحارقة، وكل هذا من أجل أن ينتزعوا من الله شفاء أبيهم. تناوب البنّاؤون الصغار على الصلاة في دير القديسة العذراء المعزية: كانوا يصلّون هناك ليلاً ونهاراً، وكان دائماً واحد منهم راکعاً على ركبتيه أمام العذراء. أحياناً كانت عيناهم تغفوا من شدة النعاس (كانوا يعملون ١٢ ساعة)، لكنهم كانوا يقاومون لأن دون بوسكو لا يجب أن يموت.

وأنت النعمة. نعم، لقد انتزعها أولئك الفتيان من العذراء لأنهم لا يقدرّون أن يعيشوا من دون أبي. ففي يوم الأحد من نهاية شهر تموز وعند الظهيرة، إتكا دون بوسكو على العصا وأخذ يسير باتجاه مركز السالزيان (Oratorio)، فطار الأولاد نحوه، وأجبره الكبار منهم أن يجلس على كرسي ليحمله على أكفهم، وكأنه على عرش حتى وصلوا إلى الباحة، هناك بدؤوا يغنون، والصغار منهم يبكون فأخذ دون بوسكو يبكي أيضاً.

دخلوا إلى الكنيسة وشكروا الرب الإله ، وخلال الصمت
استطاع دون بوسكو قول بضع كلمات بصوت متوتر:
- إن حياتي عادت بفضلكم ، لكن تأكدوا أنه من الآن فصاعداً
سأقضيها كلها من أجلكم.

في تلك الأيام كان الحر شديداً ، لذا اضطر دون بوسكو إلى السفر
لقريته بيكي ليقضي نقاهته ، لكنه وعد أولاده المشردين قائلاً:
- عند سقوط أوراق الشجر سأكون من جديد معكم.

أمٌ لخمسة مشرد

إنه الثالث من شهر تشرين الثاني من عام ١٨٤٦ ، سقطت
أوراق الشجر بفعل ريح الخريف. عاد دون بوسكو إلى تورينو ،
لكن ليس لوحده ، فقد رافقته أمّه مارغريتا (٥٨ سنة) ، وكانت قد
أخبرته أنها ستلحق به وستكون أمّاً لكل الأولاد المشردين.

هذان المسافران قاما برحلةٍ طويلةٍ على الأقدام. الأم مارغريتا
تحمل بذراعها سلة من القش تحوي بداخلها كل مايلزم: بعض
البياضات والقليل من الطعام.

في البداية دخلت مارغريتا إلى بيتها الجديد المؤلف من: ثلاث
غرف فارغة وشاحبة ، تحوي سريرين وكرسيين وبعض أواني المطبخ.
ضحكت مجبرة وقالت لدون بوسكو:



- في بيكي كان يتوجب عليّ كل يوم أن أقوم بترتيب البيت ،
وتنظيف الأثاث وغسل الثياب ، أمّا هنا سأكون مطمئنة أكثر...
بدأ يعملان في البيت وهما يبتسمان ، قام دون بوسكو بتعليق
صليب المسيح على الحائط وصورة للعدراء مريم. أمّا الأم مارغريتا
فجهزت الأسرة من أجل النوم ، ومعاً الأم والإبن أخذوا يغنيان
أغنية تقول :

” يا لمصيبة العالم - إذا سمعنا ،

نحن غرباء - ليس معنا شيء ...”

سمعهم فتى اسمه ستيفانو كاستانيو يغنون ، فانتشر الخبر
بسرعة بين فتیان فالدوكو :
- دون بوسكو عاد !

” أنا يتيم من فالسيزيا (Valsesia) ”

الآن وبما أن أمّه عنده في المنزل ، أخذ دون بوسكو يفكر بعمل
شبيئ أفضل لأولاده الفتیان لأن بعضهم عندما كان يأتي المساء لا
يعرفون أين يذهبون للنوم. كانوا ينتهون تحت القناطر أو في
المهاجع العامة الشاحبة. فكّر أن يأوي في بيته الأولاد الأكثر
حاجة والأكثر تشرد.

التجربة الأولى كانت فاشلة ، حيث جَمع بعض الأولاد المشردين
وجعلهم ينامون في مستودع للتبن ، وعندما جاء صباح اليوم التالي لم
يبق هناك أحدٌ ، لقد هربوا جميعاً آخذين معهم الشراشف التي
أعارتهم إياها الأم مارغريتا ، لكن هذا لم يفقده العزيمة.

في إحدى أمسيات شهر أيار ، كان المطر غزيراً يهطل
كالحبال ، وكان دون بوسكو وأمّه قد انتهيا للتو من تناول طعام
العشاء ، حينها دقّ أحدهم الباب. إنّه فتى بعمر ١٥ عاماً مبتل
ومتجمد من البرد.





- أنا يتيم، أتيت من فالسيزيا، أعمل في مهنة البناء لكن حتى الآن لم أجد عملاً. أنا بردان ولا أعرف أين أذهب...
- ادخل، قال له دون بوسكو - هيا إجلس بجانب النار لأنك لو بقيت مبتلاً هكذا ستصاب بالمرض.
- قامت الأم مارغريتا بتحضير بعض الطعام، ومن بعدها سألته:
- الآن، أين ستذهب؟
- انفجر الولد بالبكاء:
- لا أعرف، فقدت كان معي ثلاث ليرات عندما وصلت إلى تورينو، لكنني صرفتها كلها.
- من فضلكم لا تطردوني خارجاً.
- فكرت الأم مارغريتا بالشراشف التي ذهبت وسرقت بلمح البصر:
- حسناً، يمكنك أن تبقى هنا ولكن من يضمن لي أنك لن تسرق أواني المطبخ؟
- آه، كلا يا سيدتي، صحيح أنا فقير ولكن لست بلص.
- لقد خرج دون بوسكو للتو تحت المطر ليجمع بعض القرميد ويضعه في البيت، فجعل منه أربع قواعد ووضع فوقهما ألواحاً خشبية، بعد ذلك ذهب وأحضر فرشاة سريره ووضعها فوقهما.
- سننام هنا يا عزيزي وستبقى عندنا طالما أنت بحاجة لمكان لأن دون بوسكو لن يطردك أبداً.
- لقد كان أول يتيم يدخل بيت دون بوسكو ومع نهاية العام أصبحوا سبعة، وسيصبحون آلافاً.
- في أحد الأيام دخل دون بوسكو إلى صالون الحلاقة، فاقترب الفتى الذي يعمل هناك وهم ليضع الصابون على لحيته:
- ما اسمك؟ وكم عمرك؟
- اسمي كارلينو، وعمري أحد عشر عاماً.



– برافو يا كارلينو. الآن هيا ضع الصابون على لحيتي
ودلكه بشكل جيد بالفرشاة. قل لي كيف حال أبيك؟
– والدي ميت، فقط أمي على قيد الحياة.
– آه، يا عزيزي، أنا آسف – انتهى الفتى من
وضع الصابون.

– الآن هيا، خذ موس الحلاقة وابدأ بحلاقة لحيّتي.
تدخل صاحب الصالون وهو مذعور:
– أرجوك يا أبتي الجليل! إن الفتى لا يعرف بعد كيف
يحلّق اللحية، فهو يقوم فقط بوضع الصابون.
– لكن أولاً وأخيراً يتوجب عليه عمل هذا، أليس كذلك؟
والآن هيا يا كارلينو تقدم وجرب بي.
أخذ كارلينو يحلق تلك اللحية وهو يرتجف مثل ورقة شجر،
وعندما بدأ يلف موس الحلاقة حول ذقنه بدأ يتصبب عرقاً. كانت
هناك بعض المخاطر الصعبة وبعض الجروح لكنه حلّقها في النهاية.
– شاطر يا كارلينو! – ابتسم له دون بوسكو.
– الآن وبعد أن أصبحنا أصدقاء تعال لزيارتي بعض الأحيان.
في الصيف وجده دون بوسكو يبكي بجانب صالون الحلاقة:
– ماذا حدث، لم تبكي؟
– لقد ماتت أمي وطرّدني صاحب المحل، والآن أين سأذهب؟
– تعال معي، فأنا لست إلاّ كاهناً فقيراً، لكن حتى ولو عندي
قطعة خبز واحدة فسأقتسمها معك.

الأم مارغريتا جهّزت سريراً آخر. وهكذا بقي كارلينو غاستيني
ولأكثر من خمسين عاماً في مركز السالزيان (Oratorio)، إنه إنسان
مرح ومفعم بالحياة وسيصبح المقدم اللامع لكل الحفلات، لقد كان
يضحك الجميع. ولكن عندما كان يتحدث عن دون بوسكو كان
يبكي كطفل صغير، كان يقول: " لقد كان يحبني "



صانعو الأحذية في الممرات والخياطون في المطبخ

في عام ١٨٤٨ انفجرت الحرب الدموية الأولى للاستقلال. في حقول المعركة سقط الآلاف من البشر. وانتشرت في شوارع تورينو مجموعات من الأولاد اليتامى حيث أضحوا من دون بيتٍ ومستقبل. دون بوسكو أخذ بتوسيع البيت السالزياني وبدأ يقرع على أبواب الأغنياء ويلح على النبلاء والسيدات الارستقراطيات، للحصول على الأموال من أجل بناء بيت أكبر لأولاد المشردين الذين لا يعرفون إلى أين يتجهون.

كان لديه الكثير من الأولاد الصغار الأذكياء والليقظين، ومع ذلك كان محكوماً عليهم بالعمل كعمال يوميين من أجل لقمة العيش، وربما سيقفون يعملون هكذا بشكل يومي طيلة حياتهم. ثار دون بوسكو على هذا المشهد وافتتح مدارس مسائية يقيم فيها دورات تعليمية. ودعا أصدقاءه من كهنة وأشخاص جيدين ليعلموا فيها. فأقام مدرسةً في المطبخ وفي السكرستيا وفي وسط الكنيسة



الصغيرة وفي كل مكان فيه زاوية فارغة، وعندما كان يأتي الليل ويذهب الجميع للنوم، كان دون بوسكو يكتب الكتب التعليمية من أجل أولاده. لقد كتب الكثير منها فكانت سهلة واقتصادية، اعتُمدت في الكثير من مدارس تورينو.

لكن الشباب الذين كانوا يجتمعون في باحة مركز السالزيان (Oratorio) قد أصبحوا أكثر، لذا فكر دون بوسكو أن ينشأ مركز سالزياني (Oratorio) آخر:

– أولادي الأعزاء، عندما يزيد عدد النحل لدرجة أنه لا يمكنه العيش معاً في الخلية ذاتها، يقوم جزء منه بالطيران والذهاب للعيش في خلية أخرى. نحن سننقله، سننشئ عائلة أخرى وسنفتتح مركزاً سالزيانياً (Oratorio) ثانياً.

انبثق المركز في منطقة بورتا نووفا، وسمي "مركز سالزيان (Oratorio) الملاك الحارس".

يوم ٢ شباط عام ١٨٥١ كان يوماً مشرقاً بالنسبة لدون بوسكو، لأن أربعة من الأولاد الذين التقطهم من الطريق، وقام بتدريسهم وتثقيفهم بكل حب، طلبوا منه "أن يصبحوا مثله"، أن ينتقلوا إلى حياة الكهنوت.

إنهم جوزيبه بوتزيتي: كان بناءً صغيراً، هاجر من مقاطعة لومبارديا. كارلو غاستيني: كان حلاقاً صغيراً وهو الذي خلق لحية دون بوسكو وكانت يداه ترتجفان كورقة شجر. أما الشابان الآخران فهما: جاكومو بيليا وفيليتشه ريفيليو.

في ذلك اليوم لبسوا الثوب الإكليريكي وبدؤوا يساعده على رعاية رفاقهم الصغار.

في عام ١٨٥٢ كبر دون بوسكو بيت بيناردي القديم، فأشاد مبنى جديداً وكبيراً. لأنه توجب عليه جمع العمال والطلاب الذين أخذ عددهم بالازدياد وبشكل مستمر.





بمساعدة أولاده الأوليين،
والإكليريكيين الشباب دفع دون بوسكو
بنفسه نحو مشروع جريء وكبير:
فخلال ثلاث سنوات (من عام ١٨٥٣
-١٨٥٦) افتتح ورشات لصنع الأحذية
والخياطة وتجليد الكتب والنجارة. لقد
أسس المشروع من اللاشيء: فبعض

طاولت الإسكافي في الممر الصغير من أجل ورشة الأحذية، أما
الطاولتان الصغيرتان من أجل الخياطين فقد تم وضعهما في المطبخ.
لقد كان دون بوسكو بذاته أول معلم للخياطين، كما كان أول من
جلس وراء طاولة الإسكافي وأخذ يطرق النعل أمام أولاده. إن هذه
البذرة الأولى قد نمت بسرعة وأعطت شجرة عظيمة.

من أين يحصل دون بوسكو على الأموال كي يدفع ثمن خبز
أولاده ومصاريق البيوت؟ على هذا السؤال يجيب القديس وبكلمة
واحدة: "إنها العناية الإلهية". الرب الإله يرسل محسنين ويوحى
لأشخاص مسيحيين ويرسل رسائل تحوي على هبات، وفي بعض
الأحيان كان يتدخل بذاته الإلهية عن طريق العجائب.

لقد شاهد جوزيبه بوتزييتي وبعينيه المجردتين في عام ١٨٤٩
إحداها وإليكم القصة: لقد وعد دون بوسكو أن يطعم أولاده
الأربعمئة الكستناء، لكن أمه مارغريتا لم تفهم ما كان يريد ابنها،
فقامت بطهي ثلاثة أو أربعة كيلو غرامات فقط. والسلة التي كان
دون بوسكو يضع يده فيها تتسع لحوالي عشر حفنات من
الكستناء لا أكثر، ومع هذا كانت الكستناء كافية للجميع ومن
ضمنهم دون بوسكو أيضاً. إن بوتزييتي الذي كان آخر من أخذ
حصته، كانت عيناه مشدوهتين من الأعجوبة التي رآها تحدث
أمامه والتي تبعد فقط مسافة راحة اليد.

وأرسل الرب كلباً

البروتستانت الفالديون بدؤوا ينتشرون في تورينو. لم تكن تلك سنوات "الحوار" وإنما كانت حرب مشتتة بين الكاثوليكين والبروتستانت. لذلك كان دون بوسكو مشغولاً بالعمل من رأسه حتى أخصم قدميه، ففي عام ١٨٥٣ أنشأ الكتابات الكاثوليكية (Letture Cattolice): وهي سلسلة من الكتيبات المناضلة وسهلة القراءة التي توظف إيمان الكاثوليكين. متى كان يكتب هذه الكتيبات؟ في الليل لأنه وكالعادة كان يحصل على قسط قليل من النوم والراحة.

الكتابات الكاثوليكية (Letture Cattolice) كانت تغضب بعض المتعصبين الذين أرادوا فعل أي شيء لإزاحته عن طريقهم. في إحدى الأمسيات وبينما كان يدرس الأولاد الكبار، قام مجهول من خارج نافذة الصف بإطلاق النار عليه من بندقية، حيث صوب باتجاه القلب. لقد مرّت الطلقة بسلام بين الذراع والصدر مخترقةً ثيابه فقط. كان الأولاد مرعوبين جداً، لكن دون بوسكو ابتسم قائلاً:

– إن العذراء مريم تحبنا كثيراً، وذاك الرجل رام فاشل. من بعدها نظر إلى الثياب الممزقة وأضاف بحزن قائلاً:
– أنا حزين عليك يا ثوبي المسكين، لقد كنت ثوبي الوحيد!
في أحد الأيام، ظهر في الباحة رجل مسلح ملعون حاملاً سكيناً كبيرة، محاولاً اغتيال دون بوسكو، لكن ولحسن الحظ كان المسلح لا يعرفه شخصياً، فظن أن الإكليريكي الذي هبَّ هارباً يطلب النجدة هو دون بوسكو. فبالرغم من أن الشرطة قد علمت بالأمر، إلا أن ذاك الملعون استطاع العودة وثلث مرات ليزرع الخوف في مركز السالزيان (Oratorio).





في إحدى الليالي وبينما كان دون بوسكو سائراً إلى بيته، اعترضه شخصان ورميا عليه رداً، في تلك اللحظة ظهر كلب رمادي ضخماً، له وجه يشبه الذئب. بدأ ينبح ومن ثم ارتمى بقدميه على وجه أحدهم ومن ثم على الآخر، مما جعلهم يهربون. وهكذا رافق الكلب دون بوسكو حتى أوصله إلى أمام مدخل مركز السالزيان (Oratorio).

"في كل مساء وعندما لا أكون بصحبة أحد - يخبر دون بوسكو - وعندما أبدأ بالدخول بين الأشجار في تلك الأيام كان بين مركز السالزيان (Oratorio) والمدينة مسافة طويلة مملوءة بالنباتات العشبية وأشجار الطلح) أرى الكلب الرمادي ظاهراً أمامي. شباب مركز السالزيان (Oratoio) رأوه مرات عدة وهو يدخل إلى الباحة. في إحدى المرات، ارتعب منه ولدان فأرادا رميه بالحجارة، لكن جوزيبي بوتزيتي تدخل وأنقذ الموقف: - اتركاه بسلام، إنه كلب دون بوسكو."

كارلو توماتيس الذي كان في تلك السنوات يتردد على مركز السالزيان (Oratorio) يشهد قائلاً: "لقد كان كلب ذا مظهر مربع. وفي كثير من الأحيان كانت الأم مارغريتا عندما تراه تصرخ قائلة: "يالك من حيوانٍ بشع". كان يشبه الذئب تقريباً."



في مساء أحد الأيام توجب على دون بوسكو الخروج ليقوم ببعض الأعمال الضرورية، لكنه وجد الكلب الرمادي مستلقياً على عتبة الباب، حاول أن يبعده أو أن يقفز من فوقه لكن الكلب كان ينيح باستمرار ويدفع دون بوسكو للداخل. الأمّ مارغريتا كانت تفهم تماماً ذاك الكلب، لذا قالت لدون بوسكو:

– إذا كنت لا تريد أن تصغي لي، على الأقل أصغ لذاك الكلب ولا تذهب.

في اليوم التالي علم دون بوسكو أنه في تلك الليلة، كان هناك رجل مسلح يحمل مسدساً ينتظره عند منعطف الطريق.

الموت على طرقات تورينو

في شهر تموز من عام ١٨٥٤ انتشر خبر مرعب في تورينو. إنها الكوليرا وقد استحوذت على مقاطعة ليغوريا (Liguria)، وبدأت تنتقل مثل بقعة زيت بين قرى بيمونته السفلى، حتى أن الملك والملكة وجميع أفراد العائلة المالكة هربوا بعربات مغلقة، والتجؤوا لقلعة كازيليتّه عند الكونت كاييس.

وبتاريخ ٣٠ و٣١ تموز، بدأت تظهر في ريف المدينة أعراض وباء الطاعون المخيف.

في ه آب، كان أكثر الأحياء المتضررة بمدينة تورينو هو حي بورغو دورا، الموجود على حدود فالدوكو. كان هناك أكثر من مئة إصابة يومية، أناس ممددين يحتضرون في البيوت وفي مشافي الأمراض المعدية.

وجه محافظ المدينة نداء استغاثة محزناً جداً، لجميع الكهنة والمؤمنين والراهبات، ومفاده:





إن مشافي الأمراض المعدية تحتضر بسبب نقص الأدوية والمرضيين. نحن بحاجة لأشخاص متطوعين ومستعدين للمخاطرة بحياتهم.

في ذاك المساء تحدث دون بوسكو مع شباب مركزه السالزياني (Oratorio) قائلاً: - إن المحافظ وجه نداء استغاثة، فإذا شعر أحد من الشبان الكبار بالرغبة والقدوم معي إلى المشافي والبيوت الخاصة التي جعلت لمعالجة المصابين، هذا يعني أننا سنقوم معاً بعمل الخير وهو عمل محبذ عند

المسيح يسوع، وأنا أضمن لكم من أنه لن يصاب أحد منكم بمرض الكوليرا إذا حافظتم جميعاً على نعمة الله، ولم تقوموا بأي خطيئة مميتة.

في ذاك المساء انضم لي أربعة عشر من الشبان الكبار، وبعد أيام قليلة التحق ثلاثون آخرون بعد أن استطاعوا الحصول على إذن، لأنهم كانوا يافعين جداً.

كانت أيام عمل قاسية وليست أبداً ممتعة. حيث كان ينصح الأطباء وخاصةً عند الشعور ببداية الأوجاع المبادرة إلى تدليك وعمل احتكاك للساقين، لأنه هكذا تكون كمية التعرق أكبر.

ولدة شهر كان هناك أكثر من ٤٤ شاباً متطوعاً يساعدون طيلة الوقت. ودون بوسكو كان مثلهم دائماً مستعداً لیساعد ويقوي ويعزي وليخدم آخر الأسرار المقدسة.

مع هطول أول أمطار فصل الخريف تناقص عدد المصابين بالكوليرا، وفي ٢١ تشرين الثاني تم إعلان انتهاء "حالة الطوارئ". لكن بعض الحالات عادت تظهر ونحن على عتبة الشتاء، وفي

تلك الفترة بالذات لمع شعاع من القداسة التي تجسدت في دومينيك سافيو: هو فتى من قرية موندونيو، وصل إلى مركز السالزيان (Oratorio) في ٢٩ تشرين الأول. بينما كان دومينيك يسير في إحدى الليالي بحي كوتولينكو، توقف نظره نحو واجهة منزل وبدا وكأن صوتاً ما يناديه، دخل وصعد الدرج بسرعة، ومن دون تردد دق الباب، فتح له صاحب البيت:



— عذراً يا سيدي — قال دومينيك — يوجد هنا شخص مصاب بالكوليرا وهو بحاجة لمساعدة.

حملق صاحب البيت بعينيه:

— كلا، كلا، لا يوجد أحد مصاب هنا، لا تقل هذا بالله عليك!

— هل أنت متأكد؟

— أنا متأكد جداً، يا للشر!

— مع هذا أنت مخطئ، أسمح لي بالقاء نظرة؟

صاحب البيت سيجن، فهو يعرف جيداً ان أفراد عائلته والحمد لله هم بصحة جيدة. لكن ذاك الفتى كان مصراً بطريقة جعلته... يوافق.

— حسناً، أدخل، هيا أدخل وسترى أنك مخطئ.

تجول دومينيك في الغرف، وفي المطبخ وفي المستودع. لا شيء.

— عذراً، أليس هناك غرف أخرى، هل لديكم منشراً للغسيل

أو شيء كذلك؟

— آه، نعم! — وضرب صاحب البيت بيده على جبينه —

السقفيفة! تعال.

صعدا إلى فوق، هناك تحت السقف وفي مكان ضيق، كانت امرأة متوقفة على نفسها بوجهها الشاحب في إحدى الزوايا، تبدو عليها سكرات الموت، مسكينة هذه المرأة لقد كانت تحتضر.

– هيا بسرعة أطلب كاهناً! – همسَ دومينيك. وبدأ حالاً يطبق بعض الإسعافات الأولية.

– يا للهول، يا للهول! – يكرر قائلاً صاحب البيت المسكين بينما كان ينزل الدرج كي يذهب وينادي كاهناً. لقد تذكر أن تلك المرأة المسكينة كانت تذهب في الصباح الباكر للعمل، وكانت تعود متأخرة في المساء. وقد طلبت منه منذ فترة إذا كان بمقدورها السكن في تلك الغرفة الحقيرة، وقد نسي الموضوع كله ولم يتذكره. وصل الكاهن واستطاع أن يقدم آخر الأسرار المقدسة لتلك المسكينة المحتضرة. وفي أحد الزوايا كان صاحب البيت قابلاً حاملاً قبعته بيديه يسأل نفسه باستمرار:

– ذاك الفتى، كيف عرف بوجود المرأة؟

مع نهاية فصل الشتاء انتهت جميع حالات عدوى الكوليرا وعادت المدينة للتنفس.

الإنجازات الكبرى

الآن مجموعة الإكليريكيين الأربعة الصغيرة قد تكاثرت، وشعر دون بوسكو أنه قد آن الأوان للقيام "بالإنجازات الكبرى". فالسنون اللاحقة جُعِلت من أجل العمل الدؤوب، والمشاكل أصبحت باستمرار أكثر صعوبة، وإنجازات عليها أن تتحدى الزمن.

في ١٨ كانون الأول ١٨٥٩ وفي غرفة دون بوسكو الصغيرة ولدوا "السالزيان". إنهم أول سبعة عشر فتى رافقوا دون بوسكو بمسيرته، ووافقوا أن يتحدوا في "جمعية سالزيانية" واهبين حياتهم للأولاد الفقراء.



في ٣٠ تموز من عام ١٨٦٠ صعد الأب ميشيل روا إلى المذبح ليقدّم ذبيحته الإلهية الأولى. إنه ذاك الفتى الشاحب الذي التقاه دون بوسكو في الطواحين بحي دورا والذي قدم له نصف يده، فهو من الآن فصاعداً سيصبح نائب دون بوسكو وظله الأمين.

في شهر نيسان من عام ١٨٦٤ وفي مرج فالدوكو قام دون بوسكو بوضع أول حجر لدير مريم معونة المسيحيين، وبين يدي المتعهد سلّم أول دفعة من النقود: ٤٠ قرشاً.

المتعهد هو كارلو بوتزيتي الذي كان من بين أربع بنائين صغار، هؤلاء الأربعة كانوا عند ظهيرة الثامن من شهر كانون الأول من عام ١٨٤١ نائمين خلال الوعظة، فقام دون بوسكو بإيقاظهم قائلاً: "تعالوا معي". كارلو الآن تقدم بمهنته بشكل رائع وأصبح متعهد بناء محترماً ومعروفاً في مدينة تورينو بخبرته في بناء الأبنية والكنائس.

وفي عام ١٨٧٢ دون بوسكو أسس جمعية بنات مريم أم المعونة (Figlie di Maria Ausiliatrice). وقال لأولى الراهبات:

— أنتن راهبات فقيرات وعددكن قليل، لكن ستحصلن على تلميذات لدرجة أنه لن تعرفن أين تضعهن.





كنيسة بازيليك
مريم معونة المسيحيين

في شهر كانون الأول من عام ١٨٧٥ وفي دير مريم معونة المسيحيين المزدحم بجمع المؤمنين المتأثرين، سلم دون بوسكو المسيح المصلوب لأول عشرة سالزيان استعدوا للسفر في بعثة تبشيرية إلى أميريكيا الجنوبية. قائد البعثة التبشيرية كان الأب جوفائي كالبيرو، وهو من العشرة الأولين في مركز السالزيان (Oratorio)، نعم هكذا ولدت البعثات التبشيرية والتي ستمتد إلى العالم أجمع. في التاسع من أيار عام ١٨٧٦ البابا بيوس التاسع يصادق على "المعاونين السالزيان". وهم الذين دعاهم دون بوسكو "السالزيان"

العلمانيين " (Salesiani Esterni). وهم أصدقاء مشاريعه الخيرية ، ويعملون من أجل خلاص الشبيبة ويساعدون بالوسائل المادية. فقال عنهم قبل مماته: "من دون محبتكم ومساعدتكم لكنت أنجزت القليل جداً أو حتى لا شيء".

في عام ١٨٧٧ ومن أجل الحفاظ على التواصل مع معاونيه (الذين أصبحوا مئات الآلاف) قام دون بوسكو بتأسيس "المجلة السالزيانية" (Bolletino Salesiano)، وهي نشرة توضيحية شهرية ترسل لجميع السالزيان في العالم، فيها أخبار عن الجمعية السالزيانية، ورسائل المرسلين الذين يعملون في حدود العالم أجمع، وكلمة دون بوسكو التي ستأخذ نمواً ضخماً.

وبقدر ما كانت تنتشر وتتوسع المشاريع السالزيانية في العالم، بقدر ما كانت تستهلك كمية طائلة من المال من أجل دعم المرسلين في أميريكيا. فمن أجل الحفاظ على آلاف الشبان المشردين، اضطر مجبراً دون بوسكو وفي آخر سنوات حياته على الحج إلى إيطاليا وفرنسا وإسبانية، باحثاً عن التبرعات. لقد كانت رحلة مرهقة جداً، والعدراء مريم باركت تلك الرحلات بشكل مرثي: يدّ دون بوسكو كانت تهب البصر للعميان، والسمع للصم، والشفاء للسقماء. لقد أصبح الآن معروفاً في أرجاء أوروبا بإسم "الكاهن الذي يصنع المعجزات".

في أيار من عام ١٨٨٧ أتمّ دون بوسكو آخر رحلة له أتياً من إسبانية يطلب الصدقة. وأرسله البابا إلى روما، حيث عهد له





كنيسة بازيليك
قلب يسوع الأقدس

ببناء كنيسة في منطقة " القلب المقدس ". أمّا الآن فقد انحنى جسده بسبب التعب والتقدم بالسن، فصعد إلى مذبح الكنيسة العظيم من أجل الاحتفال بالقداس الإلهي. وكان بجانبه الأب فيليبيّتي، حيث لا حظ أن دون بوسكو ومنذ البدء بالصلاة أخذ يبكي. لقد كان بكاءً طويلاً وبدون توقف، رافقه تقريباً طوال القداس. وفي نهاية الأمر توجب عليهم نقله إلى السكرستيا. فسأله الأب فيليبيّتي وهو مشغول البال:

– دون بوسكو، ماذا بك؟ هل تشعر بألم؟

هز دون بوسكو برأسه قائلاً:

– لقد كان أمام عيني مباشرةً، ذاك المشهد الحي الذي حلمت به عندما كان عمري تسع سنوات، لقد رأيت وسمعت بالضبط أمي وإخوتي يتجادلون حول كل ما حلمت به...

في ذاك الحلم البعيد قالت له مريم العذراء: "ستفهم كل شيء في أوانه". الآن وبينما كان ينظر بالزمن إلى الوراء وإلى ما قام به في حياته، بدى له أنه فهم كل شيء تماماً. نعم لقد كان أمراً يستحق التعب، ويستحق القيام بتضحيات كثيرة وأعمال عدة، وكل هذا من أجل إنقاذ الكثير من الفتيان.

توفي في فجر ٣١ كانون الثاني من عام ١٨٨٨، وفي الساعات الأخيرة همس للسالزيان الذين كانوا ساهرين حول سريره قائلاً:

– نحن نصنع الخير للجميع، ولا نصنع الشر لأحد!... قولوا لأولادي أنني أنتظرهم جميعاً في الملكوت.

٣	مقدمة.....
٤	الصغير يوحنا.....
٤	حلم بعمر تسع سنوات.....
٧	" الأحلام هي أحلام ".....
٨	البهلواني الصغير.....
٩	عرضٌ على المرج.....
١١	مهاجر بعمر ١١ سنة.....
١٢	صبي إسطنبول.....
١٤	لقاء مصري.....
١٦	يمشي ويمشي.....
١٦	عندما أصبح "دون بوسكو".....
١٨	"اسمي بارتولوميو كاريلي".....
٢١	الانتقال من المشفى إلى كنيسة المقبرة.....
٢٤	طنبور وحراس كثيرون.....
٢٦	هل جن دون بوسكو؟.....
٢٨	معجزة البنائين الصغار.....
٣١	أم لخمسمئة مشرد.....
٣٢	" أنا يتيم من فالسيزيا ".....
٣٥	صانعو الأحذية في المرات والخياطون في المطبخ.....
٣٨	وأرسل الرب كلباً.....
٤٠	الموت على طرقات تورينو.....
٤٣	الإنجازات الكبرى.....



المقصود بالروحانية السالزيانية هنا تلك التي تستند إلى القديس يوحنا بوسكو (١٨١٥-١٨٨٨) وتهدف إلى تقديس أتباعها من خلال حياة تركز على الفضائل الإنسانية والإلهية المعاشة بنمط خاص، هو النمط السالزياني الذي محوره المحبة الرعوية. وهي محبة يسوع الراعي الصالح، المتدفقة من قلب دون بوسكو وتلاميذه لصالح الشبيبة والفقراء. إنها محبة تتجسد في البذل الكامل للرسالة، المعاش بالفرح والعطاء، بالتعاطف والمودة. بالتجرد والأمانة، وبالثقة البنوية بمريم أم المعونة. أما الوسيلة العملية لعيش هذه الروحانية فهي تطبيق الأسلوب الوقائي، أي أسلوب دون بوسكو التربوي، وعيشه كخبرة روحية وتربوية معاً. يتركز هذا الأسلوب في العقل والدين والمودة. «إن دون بوسكو هو مبتكر مدرسة روحانية رسولية جديدة وجذابة (رسالة يوحنا بولس الثاني، أبو الشباب)، رقم ٥):

- روحانية للشبيبة: دون بوسكو عرف كيف يعيش ويساعد الشباب على عيش الإنجيل .
 - روحانية العيش في حضور الله من خلال الحياة اليومية: الاتحاد بالله وقت اللعب وأثناء العمل والدراسة والقيام بالواجبات اليومية .
 - روحانية الفرح والتفاؤل: من الكلمات الماثورة لدى دون بوسكو «قداستنا تكمن بأن نكون دائماً فرحين».
 - روحانية الصداقة مع يسوع: نتكلم معه في الصلاة، ونجده في القربان المقدس وفي الكلمة وفي خدمة القريب.
 - روحانية الشركة الكنسية: المعاشة في المجموعات وخاصة في الجماعة التربوية. حيث تجمع الشباب والمربين في بيئة عائلية حول مشروع تربوي شامل للشباب.
 - روحانية الخدمة: لخص دون بوسكو هذه الروحانية في قوله إن أسلوبه يهدف إلى جعل الشباب «مواطنين صالحين ومسيحيين حقيقيين».
 - روحانية مريمية: مريم العذراء هي مثال الإصغاء والأمانة والطهارة وبذل الذات والخدمة. إنها أم المعونة في لحظات الصعوبات وتجارب الحياة.
- «يكفي أنكم شبيبة لكي أحبكم كثيراً»... دون بوسكو كسب القلوب لأنه أحب الشباب.
- «التربية تستخدم لغة القلب» كان يقول، ومفتاح القلب لدى الله.